أولا: مقدمة :

كثيرا ما يحتاج الباحث للحصول على تفسير أعمق للظاهرة التى يقوم بدارستها ، فبدلا من طرح تساؤلات مثل :

- ما الذى يراه الباحث فى هذا الظاهرة ؟ (كما فى حالة الدراسات المسحية Survey Research)
- ما الذى يتوقع أن يحدث عند التأثير في الظاهرة بمتغير معين ؟ (كما فى فى حالة البحوث التجريبية Experimental Research) .

فإن الباحث يقوم بطرح تساؤلات أخرى مثل :

- كيف يتفاعل هؤلاء الأفراد ؟
- ما الأشياء التى تتم فى حياتهم العادية ؟
- ما هى الصورة العقلية التى تتكون لدى الأفراد في المواقف والأحداث التي يمرون بها.

وللإجابة عن مثل هذه التساؤلات ، يقوم الباحث بإستخدام عدد من الطرق وإتباع مجموعة من الإجراءات التى تقع تحت مظلة نوع آخر من البحوث يطلق عليه" البحث الكيفى " Qualitative Research (Fraenkel & Wallen,1993,p:37)

ثانيا: ماهية البحث الكيفى :

يعرف (Daymon&Holloway,2002) البحث الكيفى على أنه محاولة للتفسير والإستكشاف ترتكز على طريقة فهم الأفراد لعالمهم الإجتماعى و كيفية تعبيرهم عن هذا الواقع من خلال اللغة والصوت والصورة والأسلوب الشخصى والسلوك الإجتماعى ، حيث يبني علي فكره مؤداها أن الواقع تم بناؤه من قبل الأفراد أنفسهم من خلال تفاعلهم و تواصلهم مع الاخرين ، مما يؤكد الحاجه إلى فهم الواقع الاجتماعى من وجهة نظر الأفراد أنفسهم .

كما يعد محاولة للحصول على الفهم العميق للمعاني والتعريفات التي يقدمها المبحوثون لموقف ما عند سؤالهم حوله بدلاً عن القياس الكمي لخصائص سلوكياتهم تجاه ذلك الموقف ويوجد هذا الاهتمام في مختلف الاجراءات البحثية الكيفية المتعددة التي برزت مؤخراً في مجال البحث الاجتماعي بشتى اهتماماته وميادينه ومن أهمها الفنومنولوجيا (الظاهراتية) ، والإثنوجرافيا، والإثنولوجيا البشرية (دراسة السلوك الطبيعي البشري)، وعلم النفس البيئي، وتاريخ الحياة، والتفاعلية و التنظير العميق و بناء الاستدلالات وغيرها وعلى الرغم من تداخلها وانطماس معالم حدودها إلا أن لكل من هذه التقاليد البحثية بؤرة اهتمام معينة تمثل محور اهتمامه . (خالد أحمد مصطفى حجر ، 2003،ص:136)

وقد عرف (Banister&Burman ,1994) البحث الكيفى على أنة دراسة لأحد جوانب علم النفس تركز بقدر الامكان ، بحيث يكون للباحث دورا أساسيا و محوريا فى الحصول على المعلومات و تفسيرها ؛ و على الرغم من المحاولات المتكرره للكثير من علماء النفس لانكار ذلك ، حيث يكون الباحث مع أفراد الدراسة تقريبا بشكل يومى ، ولذلك يعرف البحث الكيفى على أنه : نوع من

الدراسات يكون فيه الباحث (الفاحص) و المبحوثين (المفحوصين) فى نفس الحيز المكانى ، و مع مرور الوقت يمكن للباحث الحصول على عدد من الأحداث و الخبرات التى تمثل مصدرا لنظريات جديده فى علم النفس تسعى لفهم الطريقة التى يعبر بها الافراد عن أنفسهم و طريقة حياتهم ، وغالبا ما تثار العديد من التساؤلات فى نطاق البحوث الكيفية حول ما هو داخل نطاق علم النفس و ماهو خارج هذا النطاق ، و بالتالى فإن البحث الكيفى يعد :

- محاوله للتعرف على المشاعر التى تصاحب تعبير الافراد بأنفسهم عما يقومون به بالفعل what we say about what we do ?
- محاوله للكشف عن بنيه الظاهره موضع الدراسة و مدلولها .
- عرض واضح لمعنى قضيه او مشكلة محدده .

وأضاف (Mack&Woodsong&etal.,2005) تعريفا عاما للبحث الكيفى يرى أنه احد أنواع البحوث العلمية:

- يسعى للحصول على إجابات للتساؤلات البحثيه بصورة اعمق .
- يستخدم منهجية غير محددة مسبقا تتكون من مجموهة من الاجراءات التى تمكننا من الاجابة عن التساؤلات البحثية .
- يمكن من خلاله تجميع عدد كبير من الادله و الشواهد .
- يمكن من خلاله الحصول على نتائج لم تكن متوقعه مسبقا تظهر خلال اجراءات البحث .
- نتائجه يمكن ان يكون لها تطبيقات خارج حدود الدراسة المعنية .

و بالاضافه إلى كون البحث الكيفى يشتمل على هذه السمات ؛ فإنه يهدف الى فهم مشكلة و موضوع البحث من وجهه نظر المجتمع المحلى الذى

تحدث فيه الظاهره موضع الدراسة و يكون فعال بصورة واضحه فى الحصول على معلومات عن القيم و الاراء و السلوكيات و السياقات المجتمعية للمجتمعات التى تتم دراستها .

ويتميز البحث الكيفي بما يلي:-

1) أن الأغراض المختلفه للبحث الكيفى لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق مداخل تفسيرية مختلفة :

مثل تحليل المكاتبات Discourse analysis– الملاحظه بالمشاركة participant observation– العمل القائم على البناء الشخصى Personal construct work

2) أن الطبيعه التفسيريه للبحث الكيفى تميل إلى التناقض :

فبالاندماج فى اجراءات البحث يلاحظ الباحث تولد معانى و أحداث و شواهد جديده و هذا أمر لا يمكن تحديده أو التحكم فيه حيث لابد للباحث أن يوفر قدر من المرونه يسمح له بتغيير او تعديل اجراءاته البحثيه وفق ما يظهر من معلومات خلال القيام بالبحث .

فالبحث الكيفى فى علم النفس يبدأ بنقطة معينه مع الوعى بوجود فجوة بين هذه النقطه البحثيه وبين الطريقه التى يتم بها تقديم و تناول هذه النقطه وتأتى طريقة التفسير لتملأ هذه الفجوه ، وكأن عملية المعالجة التفسيريه هى الجسر الذى يربط بين العالم و ما نحن عليه فى الواقع بين الموضوعات والمعالجه التى تتم لها ، بين الأشياء التى نريد أن نفهمها و حساباتنا عما ستكون عليه هذه

الأشـياء عنـد إجـراء البحـث الكيفـى عليهـا . (Banister&Burman ,1994,p.11)

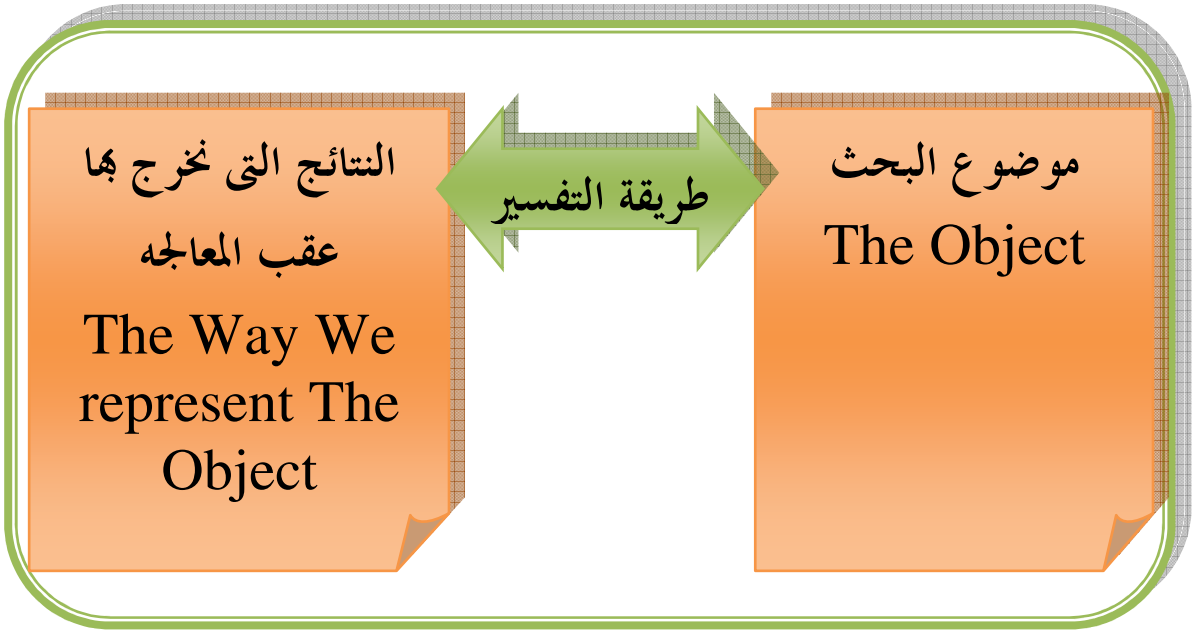

شكل توضيحى للعلاقة بين موضوع البحث و نتائجه

ثالثا: خصائص البحث الكيفى : Features of Qualitative Research

هناك الكثير من الأساليب و الطرق للدراسات الكيفية ، ولكن توجد مجموعة من الخصائص العامة و المشتركة التى تجمع عليها معظم الدراسات الكيفية ، وليس معنى وجود جميع الخصائص بنفس الدرجة فى جميع الدراسات الكيفية ، و لكنها توفر لنا صورة عامة عن ماهية البحث الكيفى.